من أعظم واجبات التوحيد

عقيدة الولاء والبراء

كتبه/

محمد بن عبد الحفيظ

٢٠ / ١٠ / ١٤٤٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

فإن من أوجب واجبات التوحيد التي أمر الله عز وجل بها: البراءة من الكفر وأهله وموالاة أهل الإيمان، ودل على ذلك أدلة كثيرة من القرآن الكريم وسنة نبيه ﷺ، وهي ما تعرف بعقيدة الولاء والبراء.

وإليك بعض هذه الأدلة:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

- في الآية دلالة على وجوب بغض وعداء من عادى الله سبحانه وعادى دينه، فيدخل في ذلك اليهود والنصارى وكل من كفر بدين الإسلام.
- أكَّد سبحانه أن (الكفر) سببٌ للعداء، فقال في الآية: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا﴾.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠].

- في الآية تأكيد للمعنى السابق، وهو أنَّ سبب بغض الله للكفار هو مجرد الكفر، ولو لم يتضمن أذيةً لغيرهم، أو احتلالًا لأرضهم، وهكذا، فسبب مقت الله لهم أنهم دُعوا إلى الإيمان به فكفروا.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

- حثَّ اللهُ عباده المؤمنين بالاقتداء بخليله إبراهيم -عليه السلام- في التعامل مع الكفار، وبيَّن أنه صرَّح ببغضهم وعداوتهم وأظهر ذلك، كما قال: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾.
- سبب هذا البغض والعداوة هو الكفر بالله، وذلك في قوله: ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ أي: بما أنكم كفار فهذه العداوة مستمرة إلى أن تؤمنوا بالله وحده.
- في الآية دلالة على تقديم الدين على القومية والقبلية ...إلخ، فمعيار المسلم للولاء والبراء هو الدين، لا الوطن، ولا القبيلة، ولا اللون، ولا الجنس، فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا

أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٣-٢٤].

- في الآية دلالة أيضًا على أن سبب العداوة هي الكفر، وهذا تأكيد لما سبق من الأدلة.
- في الآية الذم والوعيد على من قدم الدنيا الفانية وما فيها من أموال وتجارة، والأهل والأبناء والعشيرة، من قدَّم هذه الأمور على الدين فهو مذمومٌ شرعًا ومُتوعَّد من الله عز وجل.
- تضمنت الآية تأكيدًا لما تقدم من ذم الدعوة إلى القومية والإنسانية وغيرها من الدعوات الجاهلية، وأن رابطة المسلم بأخيه المسلم هي رابطة الدين، فهو الذي يُهيمن على رابطة الوطن والقبيلة والجنس ...إلخ، لا العكس، ولا يعني ذلك إلغاء رابطة الوطن والقبيلة أو أنها غير معتبرة، وإنما المقصود ألا تطغى هذه الروابط على رابطة الأخوة الإسلامية، فدين الله وشرعه فوق كل شيء: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وبهذا يُعلم مناقضة المقولة المشتهرة للعلمانيين وأشباههم للإسلام، وهي قولهم: **"الدين لله والوطن للجميع"**.

الدليل الخامس: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً﴾ [النساء: ١٤٤].

الدليل السادس: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِم يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١-٥٢].

قال العلامة ابن سعدي في تفسيره لهذه الآية: " {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} أي: شك ونفاق، وضعف إيمان، يقولون: إن تولينا إياهم للحاجة، فإننا {نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ} أي: تكون الدائرة لليهود والنصارى، فإذا كانت الدائرة لهم، فإذا لنا معهم يد يكافؤننا عنها، وهذا سوء ظن منهم بالإسلام، قال تعالى -رادا لظنهم السيئ-: {فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ} الذي يعز الله به الإسلام على اليهود والنصارى، ويقهرهم المسلمون {أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِندِهِ} ييأس به المنافقون من ظفر الكافرين من اليهود وغيرهم {فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا} أي: أضمروا {فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ} على ما كان منهم وضرهم

بلا نفع حصل لهم، فحصل الفتح الذي نصر الله به الإسلام والمسلمين، وأذل به الكفر والكافرين، فندموا وحصل لهم من الغم ما الله به عليم ".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في (مجموع الفتاوى): " فقد عرف أهل الخبرة أن أهل الذمة من اليهود والنصارى والمنافقين يكاتبون أهل دينهم بأخبار المسلمين وبما يطلعون على ذلك من أسرارهم حتى أخذ جماعة من المسلمين في بلاد التتار وسبي وغير ذلك؛ بمطالعة أهل الذمة لأهل دينهم. ومن الأبيات المشهورة قول بعضهم:

كل العداوات ترجى مودتها ... إلا عداوة من عاداك في الدين

ولهذا وغيره منعوا أن يكونوا على ولاية المسلمين أو على مصلحة من يقويهم أو يفضل عليهم في الخبرة والأمانة من المسلمين؛ بل استعمال من هو دونهم في الكفاية أنفع للمسلمين في دينهم ودنياهم والقليل من الحلال يبارك فيه والحرام الكثير يذهب ويمحقه الله تعالى ".

الدليل السابع: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٧].

الدليل الثامن: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧].

الدليل التاسع: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ الأَنَامِلَ مِنْ الغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَّ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَّ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١١٨-١٢٠].

قال الإمام البخاري في صحيحه: "البطانة: الدخلاء". أي الناس الملاصقين والقريبين منك، فإن كانت بطانة الأمير: فهم حاشيته ونوابه وأعوانه ممن يستعين بهم، وإن كان لعامة الناس: فهم الأصدقاء المقربون وما في معنى ذلك.

فبيَّن سبحانه وتعالى في هذه الآية مكائد الكفار، وأوجب على المسلمين ألا يُمكنوهم من المناصب والوظائف التي يصلون بها لأذية المسلمين أو الاطلاع على أمورهم الخاصة، وذلك لما يُكنه الكفار من البغض للمسلمين.

روى الإمامُ أحمدُ في مسنده أنه قيل لعمر: " لي كاتبٌ نصرانيٌ، قال: مالَكَ قاتلَكَ اللهُ، أما سمعتَ قولَه تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة:٥١]. ألا اتخذتَ حنيفاً! قلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ لي كتابتُه وله دينُه، قال: لا أُكرمُهم إذ أهانَهم اللهُ، ولا أُعزُهم إذ أذلَهم اللهُ، ولا أُدينهم وقد أقصاهم اللهُ ".

الدليل العاشر: قوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فلا يجتمع الإيمان بالله مع محبة أعداء الله من الكفار والمنافقين ومن عارض دينه ونبيه ﷺ، فعُلم بذلك أن موالاة الكفار من صفات المنافقين لا المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿بَشِّرْ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ للَّهِ جَمِيعاً﴾ [النساء:١٣٨-١٣٩].

وموالاة الكفار من صفات الذين لعنهم الله -والعياذ بالله- كما قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ

ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٨٠].

الدليل الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: " وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} أَيْ: إِنْ لَمْ تُجَانِبُوا الْمُشْرِكِينَ وَتُوَالُوا الْمُؤْمِنِينَ، وَإِلَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ فِي النَّاسِ، وَهُوَ الْتِبَاسُ الْأَمْرِ، وَاخْتِلَاطُ الْمُؤْمِنِ بِالْكَافِرِ، فَيَقَعُ بَيْنَ النَّاسِ فَسَادٌ مُنْتَشِرٌ طَوِيلٌ عَرِيضٌ ".

وهذا هو ما حصل في هذا الزمان، فأفسد أهل البدع والمنافقين العلمانيين عقائد كثير من المسلمين، وأقنعوهم بالمساواة بين الحق والباطل، وبين الإسلام والكفر، باسم التسامح، والتعايش، ونقض خطاب الكراهية، ونقض التعصب الديني، وغير ذلك مما يُعارض كلام الله ورسوله ﷺ.

قال العلامة صالح الفوزان -حفظه الله تعالى-: " وقد تغيرَ الوضعُ وصارَ غالبُ موالاةِ الناسِ ومعاداتهم لأجلِ الدنيا فمنْ كان عنده طمعٌ منْ مطامعِ الدنيا والوْهُ وإنْ كانَ عدواً للهِ ولرسولِهِ ولدينِ المسلمينَ.

ومنْ لمْ يكنْ عنده طمعٌ منْ مطامعِ الدنيا عادوْهُ ولو كانَ ولياً للهِ ولرسولِهِ عند أدنى سببٍ وضايقوه واحتقروه.

وقد قال عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ – رضى اللهُ عنهما -: "مَنْ أَحَبَ فِي اللهِ وأبغضَ في اللهِ ووالى في اللهِ وعادى في اللهِ فإنما تُنالُ وَلايةُ اللهِ بذلك، وقدْ صارتْ عامةُ مُؤاخاةُ الناسِ على أمرِ الدُنيا وذلك لا يُجدي على أهلِهِ شَيئاً". رواه ابن جرير ".

انتهى كلام العلامة الفوزان –حفظه الله– من رسالته: (الولاء والبراء في الإسلام) وأنصح كل مسلم بمطالعتها مع أهله وأصدقائه وتذكير الناس بهذه العقيدة العظيمة، حتى يُحَصَّنوا ضد الدعوات المنحرفة كالإنسانية والعلمانية وغيرها.

وقد دلت أدلة أخرى كثيرة على عقيدة الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين، لكن أكتفي بما تقدم.

ولا يصح أن يُفهم من هذه العقيدة المباركة سفك دماء المعاهدين والمستأمنين من الكفار بغير حق، أو اعتقاد ظلمهم في حقوقهم التي أباحها الله لهم، فهذا اعتقاد باطل ولم يقل به أحد من أئمة الإسلام، وإنما هي من أعمال الخوارج الذين شوهوا الإسلام ونفَّروا منه بانحرافهم وغلوهم.

وقد حثَّ الله المسلمين أن يُعاملوا الكفار غير المحاربين بالعدل والقسط والإحسان مكافأةً لهم على سلمهم مع المسلمين، كما قال تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمْ اللهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٧].

بل إن الله عز وجل ذكر أن صنفًا من الكفار -وهم المؤلفة قلوبهم- لهم حظ من مصارف الزكاة التي يُخرجها المسلم من ماله، فتُعطى لهذا الكافر ترغيبًا له في اعتناق دين الإسلام ولأجل إنقاذه من النار... إلى غير ذلك من صور البر والإحسان الكثيرة التي حثَّت عليها الشريعة، لكن هذا الإحسان والقسط معهم شيء، وبغضهم والبراءة منهم ومن دينهم واعتقاد كفرهم شيء آخر.

فإن قال قائل: أنتم بذلك تدعون لخطاب الكراهية!

فيقال ردًّا عليهم: لفظ "الكراهية" لفظ مجمل، فهل تريدون به ترك العمل بما أمر الله به في الآيات السابقة من وجوب بغض وعداء الكفار؟! أم أنكم تريدون بهذا اللفظ محاربة الدعوة للبغض غير المُبرر للناس وظلمهم؟!

إن كنتم تريدون المعنى الأول، وتعتقدون أن الله أمر به! فهذا كفر بدين الإسلام ولا يعتقده من يؤمن بالله واليوم الآخر، أما إن كنتم تريدون المعنى الثاني، فإن محاربة الكراهية بهذا المعنى تؤيده الشريعة، إلا أنه لا يصح أن يُستعمل في الدعوة للمعنى الثاني لفظ (خطاب الكراهية)؛ لأنه يُستعمل من العلمانيين والليبراليين والمميعين للعقيدة من الإخوانيين لمحاربة عقيدة الولاء والبراء التي أمر الله بها ورسوله ﷺ، لذا لا يصح استعمال مثل هذه الاصطلاحات ومشابهة المنحرفين.

ومِن الأدلة على منع أمثال هذه الألفاظ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] قال الإمام ابن القيم في [أعلام الموقعين (٤ / ٧)]: " **نهاهم سبحانه أن يقولوا هذه الكلمة مع قصدهم بها الخير، لئلا يكون قوله ذريعة إلى التشبُّه باليهود في أقوالهم وخطابهم؛ فإنهم كانوا يخاطبون بها النبي ﷺ ويقصدون بها السبَّ، ويقصدون فاعلًا من الرعونة، فنُهي المسلمون عن قولها سدًّا لذريعة المشابهة، ولئلا يكون ذلك ذريعة إلى أن يقولها اليهود للنبي ﷺ تشبُّهًا بالمسلمين يقصدون بها غير ما يقصده المسلمون** ".

ويستبعد عن العلمانيين والليبراليين ومن تأثر بهم من الإخوانيين إرادة المعنى الأول الصحيح، وإنما يريدون بلفظ (خطاب الكراهية) المعنى الثاني الباطل؛ لأن هذا هو هديهم وسيرتهم مع عقيدة الولاء والبراء.

فإن قال قائل: كيف نُبغض الكفار وقد أباح الله زواج الكتابيات منهم؟

فيقال: الاستدلال بهذا الأمر لترك عقيدة بغض الكفار والبراءة منهم باطل؛ لأوجه:

الوجه الأول: قد تكاثرت الأدلة على وجوب بغض الكفار مطلقًا لأنهم كفار، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ الْحَقِّ﴾ ... وقد تقدمت عشرة أدلة على ذلك.

الوجه الثاني: لا مانع شرعًا من محبة الزوجة الكتابية، أو الوالدين الكافرين، بأن يُحَبُّوا المحبة الطبيعية، لكن يجب أن تُقيَّد هذه المحبة ببغضهم لأنهم كفار، ويجب اعتقاد كفرهم إذا كانوا كفارًا أصليين كاليهود والنصارى وغيرهم ممن كفَّرهم الله ورسوله ﷺ.

فالشرع الذين أباح محبتهم المحبة الطبيعية أمر كذلك ببغضهم، ويصح اجتماع الحب والبغض في ذات الشيء وذات الشخص، ونحن نتعامل بهذا

كثيرًا في الواقع، فمثلًا: من كان مريضًا في يده، وأمره الأطباء بقطعها حتى لا يموت، فإنه قطعًا سيُحب أن تُطع يده حفاظًا على حياته، وفي ذات الوقت سيُبغض قطع يده، لأنه سيفقد هذا العضو المهم من جسده، وهكذا.

فإذن يصح أن تُحب الزوجة الكتابية، أو الوالدان الكافران، أو الجار الكافر الذي يُحسن التعامل مع المسلمين، فهذه محبة طبيعية لا إثم فيها، لكن لابد أن تقترن ببغضهم لأنهم كفار ولأن الله يبغض الكافرين ويبغض دينهم.

نسأل الله أن يصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن يثبتنا عليه حتى نلقاه، ونعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

كتبه/ محمد بن عبد الحفيظ

٢٠ / ١٠ / ١٤٤٥هـ